العمارة ما قبل اليونانية - عمارة منطقة بحر إيجة

AEGEAN ARCHITECTURE

1. أولى الحضارات الأوروبية

تعد المنطقة الشرقية من البحر المتوسط ملتقى حضارات متعددة. فالنشاط التجاري كان ممتدا من مصر إلى السواحل الفلسطينية والفينيقية شمالا ذات العلاقة الوثيقة ببلاد الرافدين. ومن هناك كان تأثير هذه الحضارات ينتقل إلى الشواطئ الجنوبية لآسيا الصغرى وعبر الأناضول غربا باتجاه منطقة بحر إيجة Aegean Sea.

نشأت في هذا المكان أولى الحضارات الأوروبية الهامة. تتميز منطقة بحر إيجة بالوحدة من حيث البنية الجيولوجية والمناخ والحياة الاقتصادية والدينية. ولكن طبيعة الساحل المتعرج وتعدد الجزر أديا إلى نشوء تجمعات مستقلة ذات نظم اجتماعية مختلفة.

كان سكان منطقة بحر إيجة يعتمدون في **العصور القديمة** على الصيد البحري، أدت الهجرات من منطقة الشرق الأوسط في العصر الحجري الحديث Neolithic Age (من الألف الخامس إلى الألف الثالث ق.م.) إلى التحول إلى مجتمع زراعي في المناطق الساحلية وأودية الأنهار، فانتشرت القرى الكبيرة لا سيما في البر اليوناني.

أما في **العصر البرونزي** Bronze Age (2600-1100 ق.م.)، الذي يتميز باستخدام أدوات وأسلحة من البرونز (خليط من النحاس والتوتياء) فقد تغيرت البنية السياسية والاقتصادية في منطقة بحر ايجة، حيث ازداد عدد السكان وصاروا يعملون في مهن مختلفة وبدأت بعض التجمعات السكنية تأخذ طابع المدينة. وتعتبر طروادة Troy، الواقعة على ساحل آسيا الصغرى، أهم المراكز في العصر البرونزي المبكر (2600-2000 ق.م.) وقد استمدت المدينة أهميتها من تجارة المعادن. وتركزت التجارة البحرية في جزر الكيكلاد Cyclade.

وانتقل موقع الصدارة في العصر البرونزي الوسيط (2000-1600 ق.م.) إلى جزيرة كريت وتركزت السلطة وسط الجزيرة في المدن الرئيسة الثلاثة كنوسوس وماليا وفايستوس. وأصبحت مدينة كنوسوس Cnossos أول مدينة كبيرة في البحر المتوسط. وسيطر الأسطول الكريتي على التجارة البحرية بدلا من أسطول جزر الكيكلاد، حيث شكلت التجارة الخارجية والصناعة والتصدير الأساس الاقتصادي للحضارة الكريتية المعروفة بالحضارة المينوية.

ثم ازدادت بعد ذلك الأهمية السياسية والاقتصادية للبر اليوناني في العصر البرونزي المتأخر (1600-1000ق.م.) إثر هجرة الأخايين والإيونيين إليه، الذين اختلطوا بالسكان الأصليين. وكان المركز السياسي يقع في منطقة Agrolis وعاصمتها ميكانة.

2. ميزات عمارة منطقة بحر إيجة في العصر البرونزي

تتميز عمارة منطقة بحر إيجة في العصر البرونزي بتنوع في النماذج والأشكال المعمارية. فقد نشأ بشكل مواز للنظامين السياسيين المختلفين نموذجان مختلفان في العمارة: ففي جزيرة كريت البحرية نشأ ما هو معروف بنموذج اللابيرنت Labyrinth أي المتاهة إضافة إلى القصور المتميزة والمدن المفتوحة غير المحصنة. بينما سيطرت في منطقة البر اليوناني أبنية من نموذج الميغارون Megaron وطريقة البناء بالحجارة الضخمة المعروفة بالميغاليت Megalith، كما انتشرت المدن المحصنة والمدافن الدائرية.

1.2. اللابيرنت Labyrinth

اللابيرنت (المتاهة) هي كلمة من لغة منطقة بحر إيجة القديمة وتستعمل للدلالة على عمارة ذات مساقط معقدة وغير منتظمة. بنية هذه العمارة مستمدة من البنية الخلوية المركبة للأبنية السكنية ذات الأفنية في المدن المشرقية القديمة أي في بلاد الرافدين وبلاد الشام.

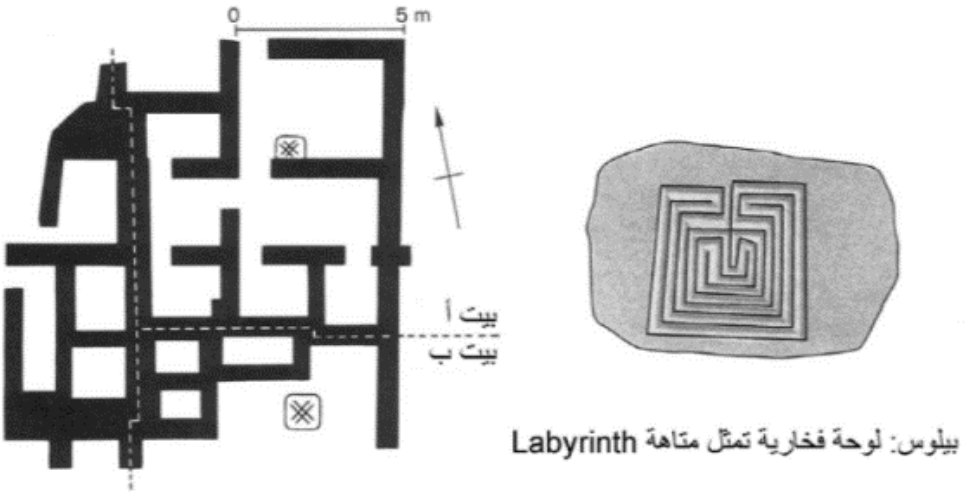

بيلوس: لوحة فخارية تمثل متاهة Labyrinth

كنوسوس Knossos: مجموعة بيوت من العصر النيوليتيكي المتأخر

كيفالي Kephaly: حي سكني من الفترة المينوية المتأخرة

المتاهة Labyrinth كنموذج من المباني

https://manara.edu.sy/

ميزات النظام اللابيرنتي:

1. النظام اللابيرنتي يرتكز على مبدأ تنظيم مجموعة الفراغات من المركز نحو الخارج، حول فناء داخلي.
2. يمكن التلاؤم مع طبيعة الأرض وميولها.
3. يمكن ضمن هذا النظام توسيع البيت أو مجموعة البيوت بإضافة فراغات أو وحدات جديدة إليها.
4. يتميز بسهولة جعل هذه الأبنية جزءا من تجمع سكني مترابط.

تتضح هذه الميزات منذ الفترات المبكرة، كما في مجموعة من البيوت تم العثور عليها في مدينة كنوسوس والتي تعود إلى العصر الحجري (من الألف الخامس إلى الألف الثالث ق.م.). ويتميز التجمع السكني في مدينة كيفالي الذي إلى يعود إلى الفترة المينوية المتأخرة (1600-1100 ق.م.) بالبنية نفسها. ويظهر تطور مبدأ اللابيرنت بشكله الأمثل من خلال القصور الضخمة التي أنشأها ملوك كريت، كما في القصر الملكي في كنوسوس.

2.2. الميغارون Megaron

الميغارون كلمة تعني بلغة سكان منطقة بحر إيجة القدماء: البيت المستطيل المستقل (أي غير محاط بأبنية أخرى). الميغارون مبنى يتميز ببساطته المطلقة. فهو مستطيل طويل ذو جدارين جانبيين مسدودين. وهو مبنى ذو اتجاه طولي واضح، فراغاته متتالية ولها مداخل محورية. يقسم إلى فراغ رئيسي إضافة إلى فراغ أو فراغين ثانويين. تنفتح جهة البناء غالبا على شكل بهو مفتوح محاط بجدارين بارزين من الجانب وتقسم واجهته الأمامية بواسطة أعمدة كبيرة.

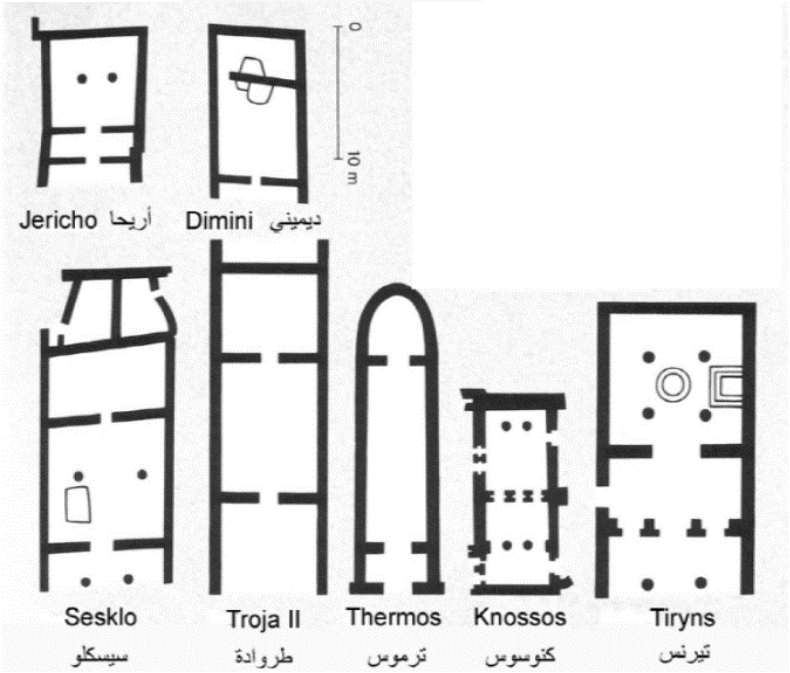

عمارة منطقة بحر إيجة: بيوت من نموذج الميغارون Megaron

وفي الحالات ذات المجاز الواسع، أي عندما يزيد عرض المبنى عن حد معين، يتم تحميل السقف على صف أو صفين من الأعمدة الموازية للجدران الطولية. توجد نماذج متعددة للميغارون من حيث نسبة العرض إلى الطول تتراوح بين نماذج قصيرة بنسبة 1: 2 ونماذج طويلة بنسبة 1: 3.

نموذج الميغارون يتصف بعدم المرونة، فهو مغلق على نفسه، غير قابل للتوسع أو لزيادة عدد الفراغات دون تخريب شكل المبنى. فلدى الرغبة في بناء مجموعة من الأبنية نجد التنظيم المتوازي هو السائد، وذلك عن طريق بناء ميغارون جديد مجاور أو أكثر تأخذ نفس الاتجاه، كما في مدينة طروادة Troy، أو عن طريق إضافة مجموعة مختلفة من المباني المحيطة التي لا تؤثر على بنية الميغارون الأصلي، كما في القصر الملكي في تيرينس Tiryns.

3. عمـارة جزيرة كـريت أو العمــارة المينويــة Minoan Architecture

1.3. تخطيط المدن في جزيرة كريت

رافق فترة ازدهار جزيرة كريت في العصر البرونزي الوسيط (2000-1600 ق.م.) نشوء مدن هامة تركزت في وسط الجزيرة. شكلت مدينة كنوسوس Cnossos المركز السياسي والاقتصادي، بينما تعتبر ماليا Mallia وفايستوس Phaistos عاصمتان محليتان على الساحل الشمالي والجنوبي للجزيرة.

تميزت التجمعات السكانية وتخطيط المدن في جزيرة كريت بطابع خاص. إذ نشأت إضافة إلى تجمعات الموانئ الموجودة على ساحل البحر مباشرة مدن على السفوح الجبلية والتلال، تمتاز بكونها محمية من حر المنطقة الساحلية والعواصف والأمواج العاتية التي ترافق الزلازل. إن هذه المدن كانت تسيطر على الطرق التجارية المؤدية إلى داخل الجزيرة وتمتاز بإطلالتها على البحر. ويبدو أن سكان جزيرة كريت لم يعيروا خطر الغزو البحري اعتبارا لأن مدنهم لا تحتوي على أية تحصينات تذكر نتيجة سكنهم ضمن جزيرة وبسبب قوة أسطولهم البحري.

<u>مدينة كنوسوس Cnossos</u>

تقع مدينة كنوسوس على بعد 6 كم عن شاطئ البحر على هضبة بارتفاع 60 م عن سطح البحر، عند تقاطع اثنين من أهم طرق المواصلات المؤدية إلى داخل الجزيرة.

نموذج المدن السائد في جزيرة كريت على امتداد العصر البرونزي هو **نموذج المدينة ذات القصر**. ويعد قصر الملك، الذي يقع وسط المدينة، المركز السياسي والاقتصادي والديني للمدينة. تؤدي إليه شوارع المدينة الرئيسة من اتجاهات متعددة، وهي لا تتبع في مسارها نظاما معينا وإنما تتلاءم مع تضاريس المنطقة. وتتشكل حول القصر مدينة مركزية تتخذ شكلا بيضويا.

تتوزع الأحياء السكنية بشكل نسيج مترابط يعتمد مبدأ اللابيرينت أي البيوت السكنية المتلاصقة المفتوحة على أفنية داخلية. وتؤمن أزقة ضيقة الوصول إلى الأحياء السكنية. وهي تتكون بشكل أساسي من بيوت صغيرة ومشاغل مهنية ودكاكين تتوزع بينها فيلات طبقة النبلاء وبعض المباني العامة. وتحيط بالمدينة المركزية أحياء خارجية ذات كثافة أقل.

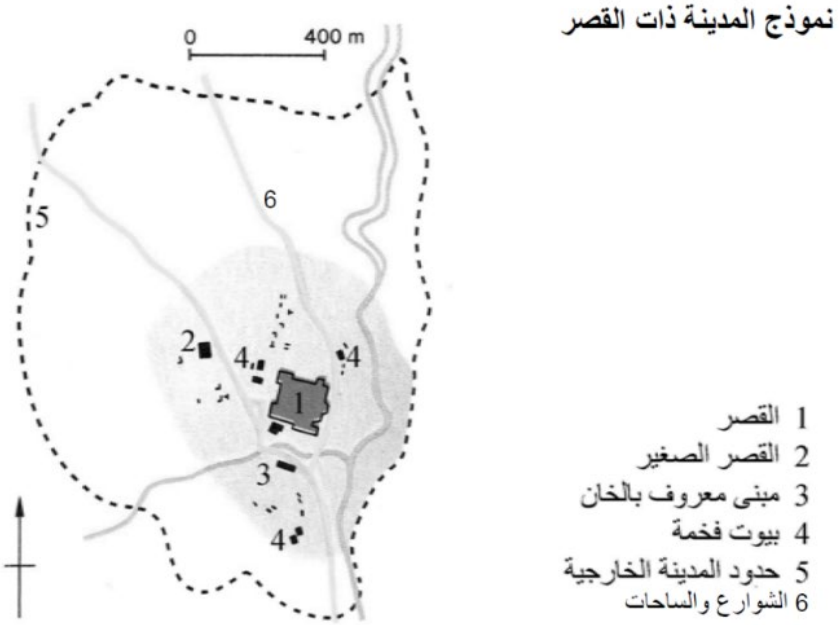

مخطط مدينة كنوسوس في جزيرة كريت

إن تخطيط المدن الكريتي كان يعتمد على النمو العفوي، القادر على التلاؤم مع الظروف المتغيرة. وبما أن المدن لم تكن محاطة بأسوار فقد كان بإمكان أحياء المدينة الخارجية أن تتوسع دون قيد. قُدر عدد سكان مدينة كنوسوس بحوالي 80000 نسمة وهي تعتبر بذلك أولى المدن الكبرى في منطقة البحر المتوسط.

2.3. قصور جزيرة كريت (القصور المينوية)

تعتبر القصور أهم الأبنية التي أنشئت في جزيرة كريت في العصر البرونزي المتوسط (2000-1600 ق.م).

كان لهذه القصور **وظائف متعددة** نظرا لكون الملك يمثل السلطة السياسية والاقتصادية والدينية في آن واحد. فهي **مركز سياسي**: أي أنها تضم بلاط الملك وقاعة العرش وتعد مكان الاستقبالات الرسمية. كما أنها مركز إداري فهي تحوي مقر القضاء وخزينة الدولة ومخزن الأسلحة. كما أنها **مركز اقتصادي** إذ يتم فيها تجميع المنتجات المختلفة من أنحاء الجزيرة إما للاستخدام المحلي أو للتصدير وتعتبر مكانا لتصنيع المنتجات الزراعية والحرفية والفنية المتميزة، إضافة إلى كونها مركز للتجارة الخارجية وسوق للتبادل التجاري بين المدينة ومحيطها. كما أنها **مركز ديني** فهي مقر الملك الكاهن، إذ توجد فيها الفراغات المخصصة للطقوس الدينية والهياكل ومكان تقديم الأضحيات في الساحة المركزية. إضافة إلى كون هذه القصور **مبنى سكني** فهي مكان إقامة الملك أو الأمير المحلي وحاشيته.

هذا التنوع الوظيفي يفسر اتساع هذه القصور وتنظيمها المعقد. وقد تم تصميمها من الداخل إلى الخارج. مركز المبنى عبارة عن فناء داخلي أشبه ما يكون بالساحة العامة نظرا لاتساعه ووظيفته وطريقة معالجة واجهاته. تحيط به مجموعة من الأبنية المرتبة حسب الوظائف المختلفة والتي يمكن اعتبارها وحدات مستقلة. كانت الشوارع الرئيسة للمدينة تنتهي في كثير من الأحيان في الفناء المركزي أو في أحد الأفنية الخارجية. وبما أن هذه القصور غير محاطة بتحصينات فقد كانت قابلة للتوسع بسهولة عند الحاجة. جميع هذه القصور تتبع النظام نفسه في تصميمها مع وجود بعض الاختلافات المحلية ومن أشهر الأمثلة عليها قصر كنوسوس.

قصر كنوسوس Palace of Cnossos (للمطالعة)

يفوق قصر كنوسوس بقية القصور من حيث الأهمية السياسية ومن حيث الحجم والاتساع، فمساحته تبلغ 22.000م2، ويمتاز عنها بتصميمه وتنوع الفراغات الموجودة فيه. البقايا التي تم الكشف من خلال التنقيب تضم أجزاء من الطابق الأرضي تعود إلى الفترة المينوية المتأخرة (1600-1100ق.م).

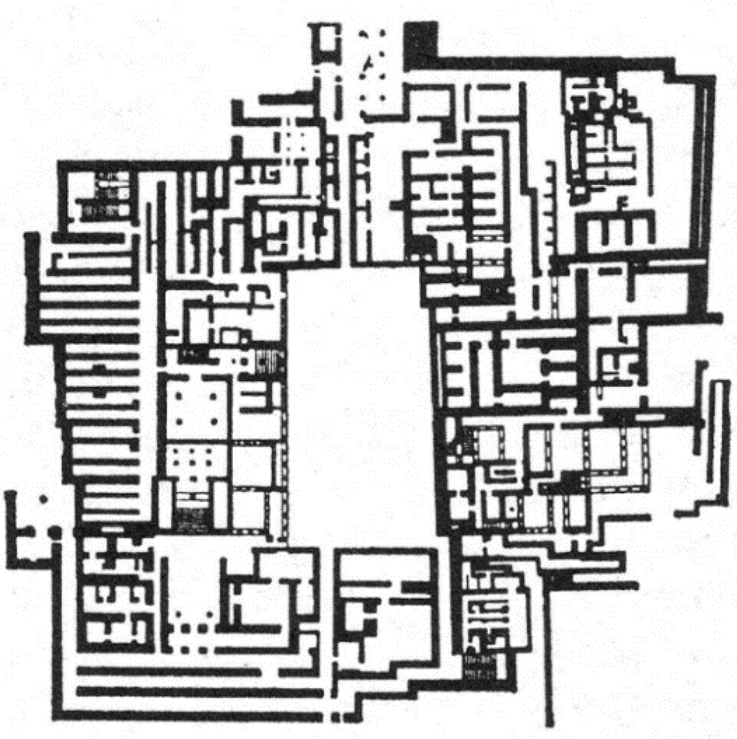

كنوسوس: القصر الملكي

تتوزع المنشأة حول فناء مركزي كبير. يشمل الجناح الغربي الواسع مجموعة الفراغات المخصصة للطقوس الدينية في الطابق الأرضي وفراغات التمثيل الحكومي في الطابق العلوي، بينما يضم الجناح الشرقي السكن الملكي.

الواجهة الغربية للفناء المركزي للقصر تجمع العناصر الهامة في عمارة جزيرة كريت. فهي مؤلفة، تبعا للتصور الذي وضعه Evans، من طابقين رئيسين يعلوان طابقا منخفضا يشكل قاعدة البناء، نصفه يقع تحت الأرض. تنفتح الواجهة على الفناء بنوافذ ذات إطارات عريضة. ويبرز عن الواجهة جزء من المبنى يضم درجا فخما يؤدي إلى الطابق العلوي بصالاته المخصصة للاستقبال والتمثيل الحكومي. يتقدم الواجهة في الطابقين العلويين أروقة محمولة على أعمدة. إن هذه الواجهات تستفيد إلى حد كبير من الظل والنور في إبراز عناصرها ولا بد من تخيلها ملونة بألوان زاهية وخاصة الألوان الأساسية أي الأحمر والأزرق والأصفر.

كما تتميز العمارة الكريتية بكونها تهتم بالعناصر الزخرفية أكثر من اهتمامها بإظهار المنطق الإنشائي، لذلك نجدها مثلا تستخدم أعمدة تضيق نحو الأسفل وهو ما يعرف بالعمود الكريتي إضافة إلى التزيين بواسطة أفاريز مختلفة وشرافات على شكل قرون الثيران المجردة.

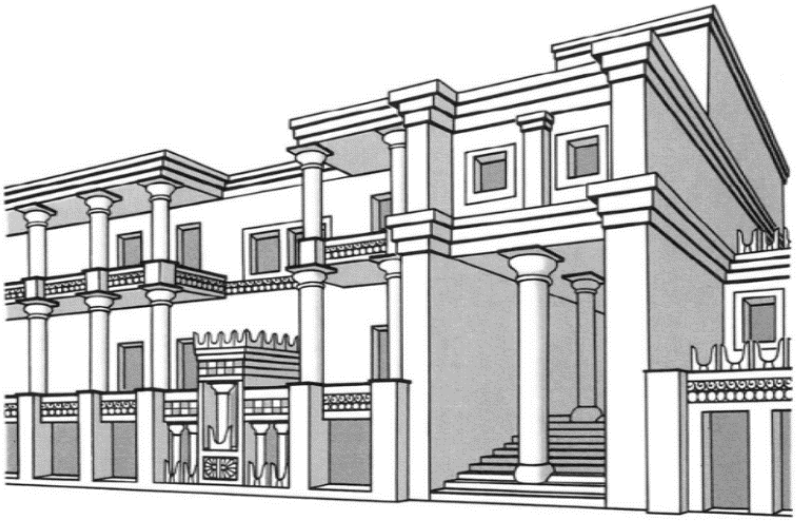

كنوسوس: القصر الملكي - تصور لجزء من الجناح الغربي المطل على الفناء الرئيس

التنسيق المتقن للفراغات الفخمة يتكرر في **الجناح الشرقي** من قصر كنوسوس، الذي يضم سكن الملك. كان هذا الجناح مؤلفا مما لا يقل عن أربعة طوابق، الأولان منهما مبنيان داخل سفح الجبل وهما مكونان من مجموعتين من الفراغات أهمها ميغارون الملك وميغارون الملكة وهي تتميز بطابعها السكني الخاص، فهي مغلقة نحو الخارج وتنفتح على أفنية داخلية صغيرة. وتربط بين الجزأين ممرات خاصة وأدراج داخلية.

4. عمــارة البر اليوناني أو عمارة ميكانة Mycenean Architecture

1.4. تخطيـط المـدن

انتشرت في جنوب اليونان أي فيما يعرف بالبر اليوناني - على عكس جزيرة كريت - المدن المحصنة المحاطة بالأسوار وهي تحيط بالقلعة الواقعة على مرتفع في المدينة يدعى الأكروبول. هذه القلعة المحصنة تمثل سلطة العائلة الحاكمة.

تعد مدينة ميكانة **Mycenae**، التي تعود إلى العصر البرونزي المتأخر (1600-1100 ق.م) وقلعتها من النماذج المثالية للمدن ذات القلاع المرتفعة. تقوم المدينة على تل مرتفع مما يجعلها تسيطر على المنطقة المحيطة وعلى طرق التجارة القريبة منها. الأكروبول المحصن بسور منيع يقع شمال شرق المدينة، التي تمتد على سفح جبلي تحصيناته تحمي القصر والمدينة الداخلية. أما المدينة الدنيا فتمتد على السفح غرب وجنوب غرب المدينة. وقد تم تحديد حدود المدينة ونموها من قبل علماء الآثار من خلال مواقع المدافن الدائرية التي تتوزع على أطراف المدينة.

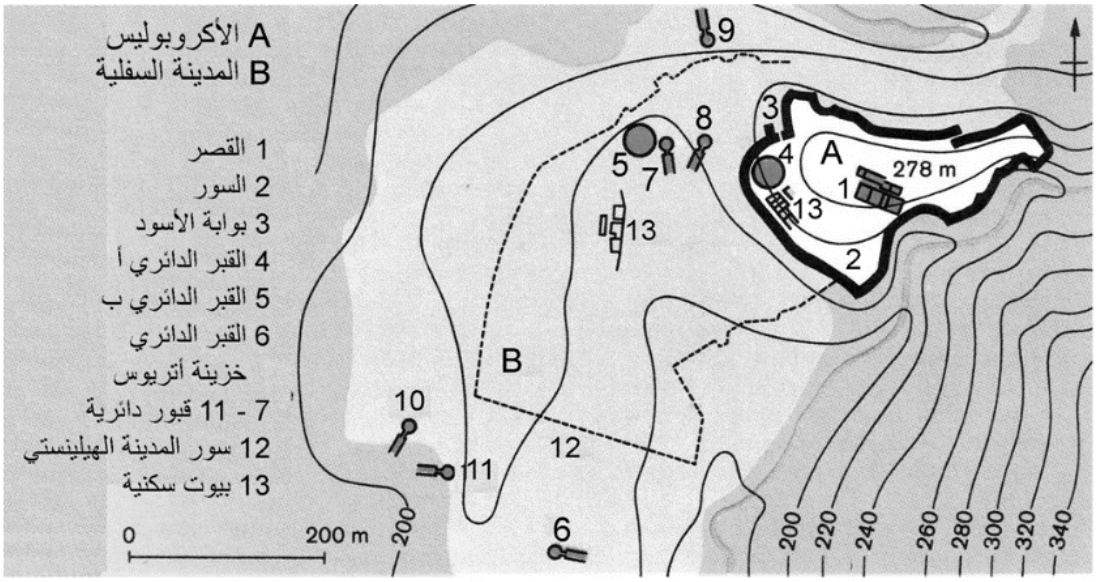

ميكانة: الأكروبول والمدينة السفلية

2.4. الإنشاء بالحجارة الضخمة - الميغاليت

يتميز الإنشاء في عمارة ميكانة باستخدام الحجارة الضخمة المعروفة بالـ ميغاليت Megalith. إن المثال الأكثر شهرة على هذه الطريقة في البناء يظهر في المدخل المؤدي إلى قلعة ميكانة، والمعروف بـ**بوابة الأسود Lionsgate**، التي تعود إلى بداية القرن 13 ق.م.

تتألف البوابة من أربعة حجارة ضخمة وزن كل منها عدة أطنان (معروفة بالميغاليت)، تشكل إطارا حجريا ارتفاعه حوالي 3,25 م وعرضه 3 م. يستمر الجدار نحو الأعلى فوق حجر الساكف المتميز بثخانته بحيث يشكل مثلثا عاتقا نتيجة

https://manara.edu.sy/

بروز الحجارة بشكل متتالي عن بعضها البعض، مما يسمح بنقل الحمولات وتوزيعها على جانبي البوابة. هذا المثلث العاتق مغلق ببلاطة حجرية مثلثة الشكل ارتفاعها 3 م، تحمل واجهتها الخارجية نحتا مشهورا يمثل لبؤتين واقفتين تستندان إلى قاعدة عمود كريتي (من النموذج الذي يضيق نحو الأسفل). أما رأسي اللبؤتين المفقودين، فيعتقد أنهما كانا من مادة مختلفة. هذا النحت ذو أهمية كبيرة كونه يعتبر من أوائل المنحوتات الأوروبية.

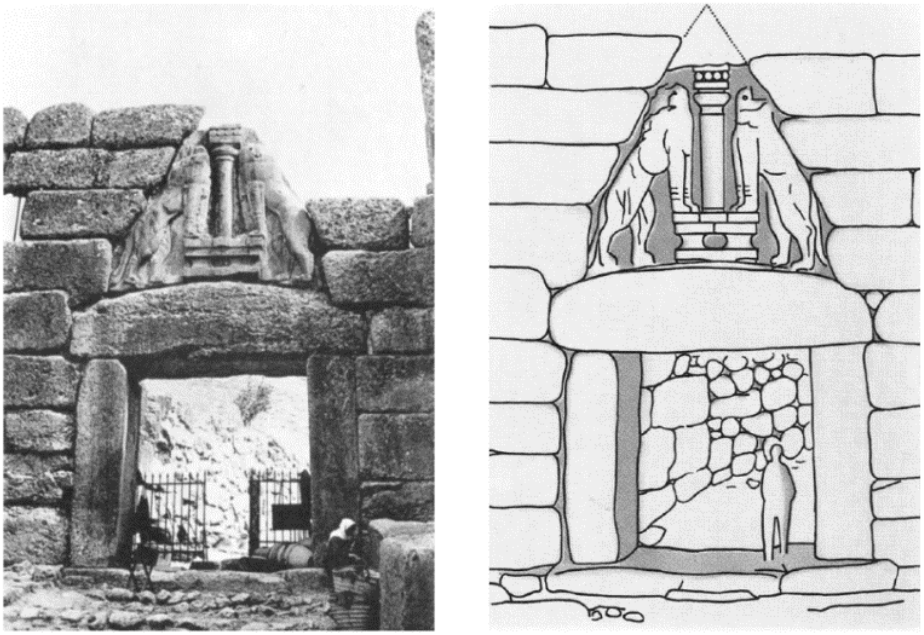

ميكانة: بوابة الأسود (القرن 13 ق.م.)

تظهر هذه الطريقة في الإنشاء أيضا من خلال نموذج آخر من المباني هو المدافن الدائرية.

3.4. المدافن الدائرية Circular Tombs

تعتبر الأبنية الدائرية من أقدم النماذج المعمارية وقد استمر استخدامها في العمارة الدينية وعمارة القبور مدة طويلة. تم الكشف عن مساقط دائرية في أماكن عديدة من منطقة بحر إيجة. فضلت الطبقة الحاكمة في البر اليوناني في البداية القبور العمودية المحفورة ضمن الأرض ولم يتم الانتقال إلى القبور الدائرية إلا في العصر البرونزي المتأخر.

يتم الوصول إلى **التولوس Tholos** المبنى الدائري عبر ممر غير مسقوف يدعى **دروموس Dromos** يُشق ضمن التل وتبنى جوانبه بالحجارة المنحوتة لمنع التربة من الانهيار. ينتهي الممر عند مدخل ضيق معروف بالـ**ستوميون Stomion**، الذي يجعل على شكل بوابة متقنة. تغطي المبنى الدائري قبة ناتجة عن بروز طبقات الحجارة المنحوتة (المداميك) نحو الداخل بشكل متتال فوق بعضها (وهي بذلك ليست قبة حقيقية)، وهي تشكل مركز هذا النموذج من القبور.

إما أن يتم بناءها داخل سفح تل أو أن يتم طمرها جزئيا بتل صناعي دائري يسمى تومولوس Tumulus. عادة ما كان يتم دفن الموتى في المبنى الدائري ضمن حفر عمودية مع هبات مختلفة. ولا يتم العبور من المبنى الدائري إلى حجرة دفن

مستطيلة ملحقة إلا في قلة من القبور، كما هو الحال في **المدفن المعروف بخزينة أتريوس Treasury of Atreus** الذي يقع في مدينة ميكانة، والذي يعتبر من أشهر هذه القبور وأكثرها محافظة على بنيته الأصيلة. سبب تسميته خزينة وليس قبرا الهبات الذهبية القيمة التي وجدت داخله، مما أدى على الاعتقاد في البدء أنه خزينة.

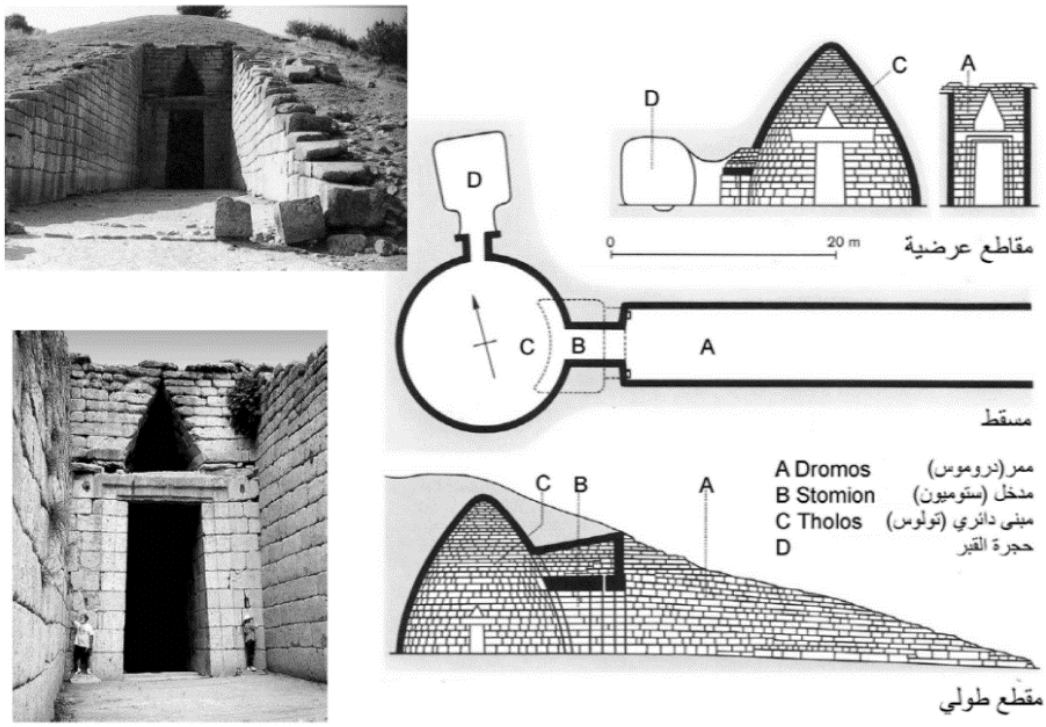

ميكانة: خزينة أتريوس - مدفن دائري

يبلغ قطر قبته 14,5 م وارتفاعها 13,20 م ويبلغ طول الدروموس المؤدي إليه 36م وعرضه 6 م. جدران التولوس والدروموس مبنية بحجارة منحوتة ذات أحجام كبيرة وقد تم نحت حجارة القبة وإعطاؤها الشكل النهائي بعد وضعها في مكانها لتتناسب مع انحناء القبة corbeled dome. واستخدمت بلاطتان حجريتان ضخمتان وزن كل منهما عدة أطنان لتغطية المدخل الذي يبلغ عرضه 2,5 م (أبعاد الكبيرة منهما 8× 5× 1,2 م). وحتى لا تتأثر البلاطتان بحمولات القبة تم إنشاء قبوة عاتقة فوقهما ذات مقطع مثلث. وقد بقيت قبة خزينة أتريوس أكبر قبة معروفة في العالم مدة 1400 عام إلى أن أنشئ معبد البانتيون في روما.

كان إنشاء المدخل مغطى بواجهة تزيينية مزخرفة تناقض البنية الإنشائية. إذ يحيط بالباب من الجانبين أعمدة رفيعة من الحجر الأخضر وهي من النمط الكريتي الذي يضيق نحو الأسفل. جسم هذين العمودين وتاجاهما مغطيان بالزخارف ويعلوهما عمودان مماثلان يحملان طنفا رفيعا، مما يشكل إطارا للبلاطة المزخرفة التي تغطي الواجهة والتي تكرر شكل المثلث العاتق ولكن فقط كشكل دون إبراز أهميته الإنشائية. وتشكل مجموعة من قرون الثيران الرمزية نهاية الواجهة. أي أننا نجد في هذه الواجهة، التي هي أشبه بمدخل قصر، عناصر العمارة الكريتية تغطي الإنشاء الميكاني.